أحسن القصص
سيرة الأنبياء (عليهم السلام)



قصة سيدنا لوط (عليه السلام)
السّمَاءُ تُمطِرُ شُهُباً

كمال السيد

كان سيدنا ابراهيم ينتظر ضيفاً ليتناول معه طعام الغداء. كان سيدنا ابراهيم يحب الضيوف. انه يرحب بهم دائماً. يقدّم لهم الماء العذب واللبن الطيب والطعام الشهي.

المسافرون كانوا يحبّون سيّدنا ابراهيم لكرمه وطيبته واخلاقه الرفيعة.

ذات يوم جاءه ثلاثة ضيوف كانوا شبّاناً وسيمين. سيدنا ابراهيم رَحّبَ بهم. وفرح بقدومهم. لهذا اسرع الى اكرامهم.

ذبح لهم عجلاً وشواه. وقدّمه اليهم. كانت التقاليد في ذلك الزمان، ان الضيف اذا امتنع عن تناول الطعام فمعني هذا انهم يرفضون ضيافته ويضمرون له شرّاً.

امّا اذا أكلوا من الطعام فان رابطة صداقة ستنشأ بين الضيوف والمضيّف بسبب حرمة الملح والزاد.

قدّم سيدنا ابراهيم الشواء لضيوفه. وهنا حدث شيء عجيب!

لقد امتنع الضيوف عن تناول الطعام. شعر ابراهيم بالخوف من هؤلاء الضيوف.

تري هل ينوون به شرّاً. كشف الضيوف عن هويتهم قالوا له: انهم ملائكة الله وانهم مرسلون الي قرى سدوم للانتقام من أهلها.

حزن سيدنا ابراهيم وشعر بالأسف وحاول أن يدفع عن سكان القري العذاب، فلعلهم يعودوا الي رشدهم.

قال لهم: ان فيها لوطاً فماذا سيكون مصيره؟!

قالوا له: نحن أعلم بمن فيها.

وحتى يذهب الحزن عن قلبه، فقد بشره الملائكة بولد صالح..



حاول سيدنا ابراهيم أن يجادلهم في قوم لوط ولكن الملائكة قالوا له: يا ابراهيم اعرض عن هذا فقد جاء أمر ربك..

سكت ابراهيم وذهب الملائكة الى قرى سدوم للانتقام من أهلها..

فما هي قصّتهم وما هو قصّة سيدنا لوط (عليه السلام).. هذا ما ستعرفه في هذا الكتاب فهيا معاً.

قرأنا فيما مضى قصة سيدنا ابراهيم خليل الرحمن.

سيدنا ابراهيم عاش في أرض بابل ودعا سكانها الي عبادة الله وحده ونبذ الاصنام ونتذكر أيضاً كيف كفر الناس برسالة ابراهيم (عليه السلام).

لم يؤمن أحد بسيدنا ابراهيم سوى زوجته سارة وابن خالته لوط (عليه السلام)..

ولما أراد سيدنا ابراهيم الهجرة من أرض بابل قرر لوط أيضاً أن يهاجر معه..

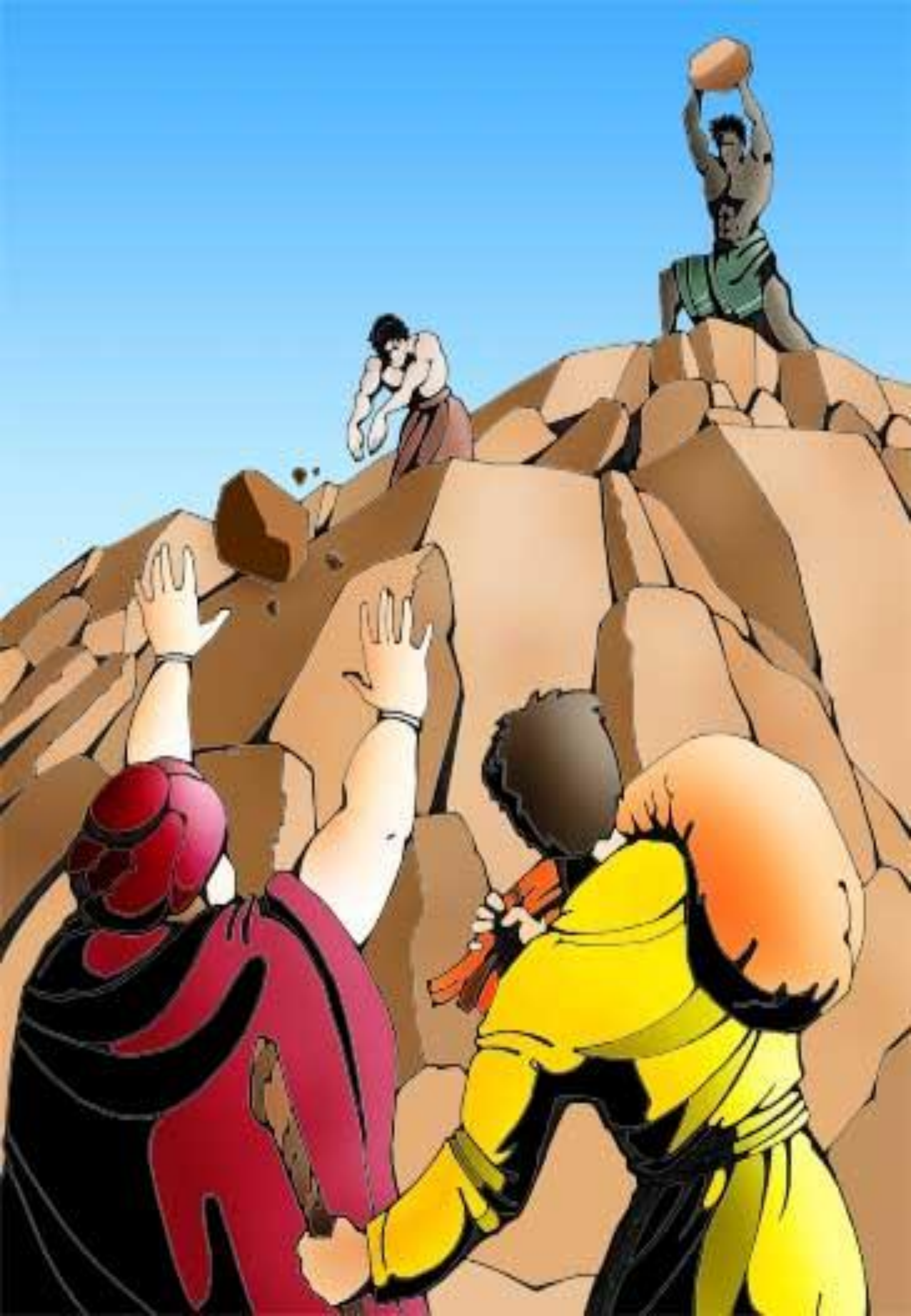
وهكذا ترك لوط بلده وهاجر.. ولمّا وصلت القافلة الى أرض سدوم أمر سيدنا ابراهيم لوطاً أن يسكن في تلك القرى، ويدعو أهلها الى عبادة الله ونبذ الأصنام.

وفي قرى سدوم بدأت قصة لوط (عليه السلام) فسيدنا لوط من أرض بابل آمن بسيدنا ابراهيم، وعندما أرادوا احراق سيدنا ابراهيم بالنار قال: اني مهاجر الى ربي فهاجر مع ابراهيم الى الأرض المقدسة فلسطين..

في الطريق أمر ابراهيم لوطا أن يسكن في أرض سدوم ليدعو أهلها الى دين الله والعودة الى الفطرة.

وسدوم مجموعة قرى على شاطئ البحر الميت في الاردن.

هناك عاش سيدنا لوط (عليه السلام) تزوّج ورزقه الله بنات مؤمنات.



أهل سدوم:

كان أهل سدوم، يعيشون على الزراعة. يعملون من الصباح وحتى غروب الشمس ثم يعودون الى منازلهم في القرية..

لا أحد يعرف كيف ساءت اخلاقهم وأصبحوا أشراراً يعملون المنكر.

كانوا يقطعون الطريق على المسافرين. يصادرون أموالهم وينتهكون أعراضهم.

المسافرون كانوا يخافون من الاقتراب من منازل سدوم وأهلها المجرمين. كانوا لا يعرفون منزلاً يكرمهم ويقدّم لهم الطعام ويحسن لهم سوى منزل واحد هو منزل لوط (عليه السلام).

عاش سيدنا لوط في ذلك المجتمع الفاسد المنحرف كان يشعر أنه يعيش في وسط الجحيم..

رآهم يعملون المنكرات التي يندى لها جبين الشرفاء الاحرار..

كانوا يلعبون القمار.. يقطعون الطريق على المسافرين أصبحت تلك الاعمال جزءً من تقاليدهم القومية..

كانوا جميعاً اشراراً.. لم يعودوا يخجلون من أعمالهم الدنيئة والمنحطة..

كان سيدنا لوط يعرف سبب كل ذلك الفساد.. لقد ابتعدوا عن فطرة الانسان الطاهرة.



الله سبحانه خلق الانسان طاهراً من الدنس خلقه نظيفاً، ولكنه هو الذي يوسخ نفسه لماذا؟ لأنه يصغي الى الشيطان ويبتعد عن الأنبياء.

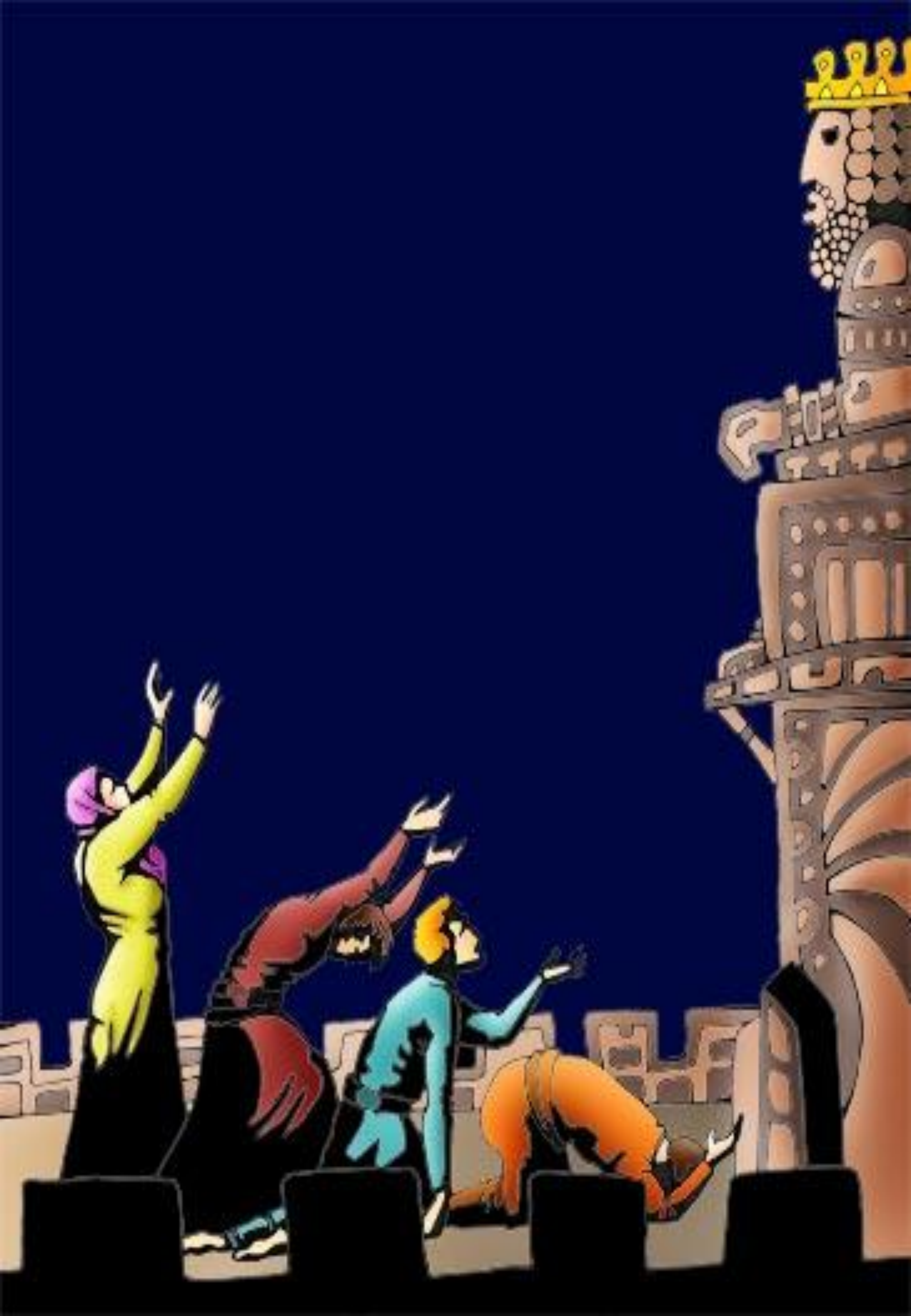
سيدنا لوط كان ينصح قومه.. يقول لهم عودوا الى فطرتكم عودوا الى ربّكم الى طفولتكم الطاهرة..

لماذا لا تعيشون حياة طيبة لماذا تبتعدون عن الحياة العائلية النظيفة؟

تحطمت علاقاتهم الأسرية.. الرجال كانوا يقضون أوقاتهم معاً والنساء كن يقضين أوقاتهن معاً..

الناس المسافرين كانوا يكرهون سكان تلك القرى.. لقد اصبحوا أشرار سيئين.. يعتدون على الحرمات وينتهكون الاعراض.

كم مرّة أرادوا طرد لوط من أرضهم.. كم مرّة تآمروا عليه..



كان سيدنا لوط يعيش غريباً بينهم. كان نظيفاً. وكانوا قذرين. كان يحب الضيوف واكرام الغرباء. اما هم فكانوا يقطعون الطريق ويعتدون على الغرباء والمسافرين.

كان لوط يعبد الله وحده أما أهل سدوم فكانوا يعبدون الاصنام، كان رجلاً طيباً وكانوا جميعاً أشراراً.

كل أهل سدوم كانوا يكرهون لوطاً لأنه لا يعمل مثل ما يعملون ولا يسكت عن أعمالهم. حتي زوجته كانت مع اولئك الكفار. لم تكن تومن بالله كانت تعبد الاصنام. وكانت راضية بما يعمل أهل سدوم من المنكرات.

لوط وحده مع بناته كانوا يومنون بالله ويتبرؤون من أعمال أهل سدوم.

الفساد كان يزداد كل يوم وعذاب لوط كان يزداد كل يوم. ومحنته تزداد مع أولئك الناس الاشرار، الذين يعيشون كما تعيش الخنازير بل أسوأ من حياة الخنازير.

ذات يوم جاء رجل غريب. لم يكن يعرف اهل تلك القري الظالمة. من حسن الحظ كان سيدنا لوط يعمل في حقله. سيدنا لوط رحب بالرجل الغريب. تلفّت يميناً وشمالاً كان يخشي أن يراه أحد. الرجل الغريب سأل سيدنا لوط عن سبب خوفه؟!



سيدنا لوط قال له: ان اهل هذه القري يقطعون الطريق.. ويأخذون منه أمواله ويعتدون عليه.

الرجل الغريب شعر بالرعب يملأ قلبه.. سيدنا لوط أخفاه في الحقل لحين حلول الظلام..

وعندما غابت الشمس أخذ لوط ضيفه وذهبا الى المنزل.. رحب لوط بضيفه مرّة أخرى.

سيدنا لوط أغلق الباب بإحكام حتى لا تخبر زوجته أهل القرية بقدوم الضيف.

قدّم سيدنا لوط طعاماً طيباً لضيفه وراح يحدّثه ويلاطفه حتى يهنأ بعشاءه.

اطمأن الرجل الغريب وأكل طعامه بشهية وبعد ساعة رقد في فراشه ونام..

عندما طلع الفجر استيقظ الضيف ووجد لوطاً جالساً ينتظر.. غسل الرجل يديه وتناول اللبن الساخن.. كان عليه أن يغادر أرض سدوم قبل طلوع الشمس حتى لا يتعرض له الأشرار بسوء!



هكذا كان سيدنا لوط يستقبل ضيوفه ويودّعهم وهكذا كانت حياة لوط في تلك القري الظالمة.

ولكن هل استمرت الحياة هكذا؟ كلا.. كما ذكرنا في أول الكتاب! جاء ضيوف عجيبون! جاءوا أولاً الى سيدنا ابراهيم.. جاءوا ليبشروه بميلاد صبي طيب.. صبي له شأن كبير صبي طاهر..

كان ابراهيم في ذلك الوقت شيخاً.. وكانت امرأته سارة عجوزاً وكانت أيضاً عقيماً، فرح سيدنا ابراهيم وتعجبت سارة من هذه البشرى..

فقالت الملائكة لا تعجبوا من أمر الله.

وعندما أراد الملائكة الذين كانوا يرتدون زي الضيوف الغرباء أن يذهبوا الى قرى سدوم.. قال لهم ابراهيم: ان فيها لوطاً..

كان سيدنا ابراهيم يريد أن يصرف العذاب عن أهل سدوم، فلعلهم يتوبوا ويعودوا الى فطرتهم النظيفة.. الملائكة قالوا له: لقد جاء أمر الله.

انطلق الملائكة الي أرض سدوم.. وشعر سيدنا ابراهيم بالحزن لهذا المصير الذي ينتظر أهل سدوم.

نعم انطلق الملائكة الى أرض سدوم ودخلوا قراها في زي ضيوف غرباء لم يشعر بهم أحد عندما طرقوا باب منزل لوط..

كان الوقت.. مساءً.. فتح سيدنا لوط الباب رأي ثلاثة شبان وسيمين..

شعر لوط بأنه قد وقع في مأزق حرج.. هل يعتذر عن استضافتهم؟

ولكن هذا ليس من الأخلاق ولا من الدين.. ليس من الأخلاق الكريمة أن يوصد المرء الباب بوجه مسافر غريب.

وليس من الدين أبداً طرد الانسان.. فلعله كان جائعاً أو ظامئاً أو مسافراً انقطعت به السبل..

ماذا يفعل؟

رحب سيدنا لوط بضيوفه وادخلهم بسرعة وأغلق الباب.



زوجة سيدنا لوط رأت الضيوف هاج الشر في نفسها.. أرادت أن تخبر أهل القرية، ولكن الباب كان موصداً..

وسوس الشيطان في قلبها أن تشعل ناراً.. سوف يراها أهل القرية ويعرفوا أن ضيوفاً طرقوا منزل لوط..

صعدت فوق سطح المنزل وجمعت بعض الحطب واضرمت النار تصاعدت السنة النار والدخان..

عودوا الى منازلكم عودوا الي حياتكم العائلية.. عودوا الى فطرتكم ان الله سيغضب عليكم..

أهل سدوم كانوا يقهقهون..

صاح أحدهم: سلّمنا ضيوفك والا حطمنا الباب وأخذناهم بالقوّة.

نظر سيدنا لوط يميناً وشمالاً.. لم ير أحداً يقف الي جانبه لقد كان وحيداً أما هم فكانوا عشرات احاطوا بمنزله كالذئاب.

كل أهل القرية انتبهوا لهذه العلامة.. لهذا ركضوا نحو منزل لوط تجمعوا عند المنزل وراحوا يطرقون الباب بعنف..

كانوا جميعاً يحملون بأيديهم الحجارة.. لقد تعوّدوا على ذلك..

تعوّدوا أن يرموا الضيوف بالحجارة، فأيهم اصاب أولاً كان الضيف من نصيبه.

سمع سيدنا لوط طرقات الباب فأدرك انهم قومه جاءوا ليعتدوا على ضيوفه..



حار ماذا يفعل!!

توالت الضربات العنيفة وتعالت صيحاتهم بفتح الباب والا حطّموه.

فتح سيدنا لوط الباب وخرج اليهم وحيداً وأغلق الباب وراءه راح ينظر اليهم وقال ونفسه يملأها الأسى والحزن:

أليس فيكم رجل رشيد؟!

أليس فيكم رجل عاقل يشمئز مما تفعلونه من المنكرات.. وقطع الطريق على المسافرين؟!

وتمنّى لوط انه لم يكن وحيداً تمني أن يكون له أولاد وعشيرة تدفع عن منزله وضيوفه هجمات المعتدين..

صاح لوط بأهل سدوم:

الا تستحون الا تخجلون من انفسكم أتريدون أن تفضحوني في ضيوفي؟!

في تلك اللحظات المثيرة انفتح الباب وظهر الضيوف الثلاثة.. قال الضيوف: لا تخش شيئاً يا لوط.. نحن لسنا ضيوفاً نحن رسل الله.. لقد أمرنا الله أن ندمّر هذه القرية.. لن تشرق الشمس حتي تتحول هذه القرية الظالمة الى خرائب..

أمّا انت يا لوط فاخرج من القرية فوراً خذ معك أسرتك وامض بعيداً.. وايّاك أن تلتفت الى ورائك أبداً!



وفي تلك اللحظة أشار الضيوف بأصابعهم نحو أهل سدوم فانبعثت أشعة غريبة..

كل رجال القرية فقدوا أبصارهم.. أصبحوا عمياناً لا يبصرون شيئاً.. وسادت الفوضى جموعهم..

كانت الساعات الأخيرة من تلك الليلة.. وكان على سيدنا لوط ان يغادر أرض سدوم قبل حلول الغضب.

أمر سيدنا لوط أسرته أن تستعد لمغادرة القرية في قلب الظلام وفي منتصف الليل..

كان عليه أن يرحل ويأخذ معه أسرته وماشيته بعيداً.. سادت الفوضى أهل سدوم.. وغادر لوط وأسرته القرية على عجل.

وكانت زوجة لوط تسير خلف الماشية وكانت تلتفت الى القرية في كل لحظة، في كل مرّة كانت تتوقف وتنظر.. اختفى لوط خلف التلال..

زوجة لوط كانت تراقب النار التي أوقدتها فوق السطح.. انطفأت النار.. وساد السكوت كل شيء..

فكّرت زوجة لوط بالعودة.. كان الفجر على وشك أن ينفلق..

فجأة حدث أمر رهيب!!

دوّت صيحة مزلزلة تشبه صوت الرعد ولكنها كانت أكثر شدّة.. وانفجر من مكان ما بركان هائل راح يقذف الحمم المشتعلة في الفضاء.

امتلأت سماء سدوم بكتل النار الملتهبة، وغمرت النار أرض سدوم.

وانبثقت من قلب الظلام شهب ونيازك لقد أمطرت السماء شهباً وناراً..

سقطت زوجة لوط على الأرض.. تحولت الى كتلة من الملح!

لقد أذاقت زوجها صنوف العذاب.. كانت وثنية وكانت امرأة كافرة خانت زوجها ووقفت الى جانب أهل سدوم الظالمين.. فلاقت جزاء خيانتها..

خرائب وعبر:

أطلّ الصباح وأشرقت الشمس.. ولكن لا أثر لقرى سدوم.. لقد تحولت الى خرائب وأنقاض تحولت الى أكوام من الحجارة المحترقة والملح..

كل شيء احترق تحول الى رماد، لقد عاث أهل سدوم في الأرض فساداً دمّروا كل الاشياء الجميلة..

دمّروا العلاقات العائلية.. دمّروا الفطرة الصافية.. نبذوا الأخلاق الكريمة وأصبحوا كالخنازير..

امتلأت حياتهم بالرجس والقذارة والمنكرات.. أصبحت هذه الاشياء تقاليداً قومية لهذا حل بهم غضب الله فأمطرت السماء عليهم ناراً وشهباً وحجارة من سجيل..

وما تزال آثار سدوم باقية حتى اليوم، أرضاً موحشة مليئة بالملح والحجارة المحترقة.

بِسمِ اللهِ الرّحمَنِ الرّحِيمِ

(كَذّبَت قَومُ لُوطٍ المُرسَلِينَ * اِذ قَالَ لَهُم أَخُوهُم لُوطٌ أَلَا تَتّقُونَ * اِنّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتّقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ اِن أَجرِيَ اِلّا عَلَى رَبّ العَالَمِينَ * أَتَأتُونَ الذّكرَانَ مِنَ العَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُم رَبّكُم مِن أَزوَاجِكُم بَل أَنتُم قَومٌ عَادُونَ * قَالُوا لَئِن لّم تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنّ مِنَ المُخرَجِينَ * قَالَ اِنّي لِعَمَلِكُم مّنَ القَالِينَ * رَبّ نَجّنِي وَأَهلِي مِمّا يَعمَلُونَ * فَنَجّينَاهُ وَأَهلَهُ أَجمَعِينَ * اِلّا عَجُوزًا فِي الغَابِرِينَ * ثُمّ دَمّرنَا الاخَرِينَ * وَأَمطَرنَا عَلَيهِم مّطَرًا فَسَاء مَطَرُ المُنذَرِينَ * اِنّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكثَرُهُم مّؤمِنِينَ * وَاِنّ رَبّكَ لَهُو العَزِيزُ الرّحِيمُ)(1)



النهاية

السّمَاءُ تُمطِرُ شُهُباً

المصدر: موقع رافد